عريضة ونداء

حظر بيع أو تأجير بيوت للعرب وتحذير الفتيات اليهوديات من إقامة أية صلة بالعرب!

تعريف: وقعت مجموعة كبيرة من الحاخامين اليهود في المدن الإسرائيلية، مؤخرًا، على عريضة تطالب بعدم بيع أو تأجير بيوت للعرب. وعقب ذلك قامت بضع حاخامات يهوديات (زوجات الحاخامين) بإصدار نداء يدعو الفتيات اليهوديات إلى الامتناع عن إقامة أية علاقة بالشبان العرب.

هنا ترجمة خاصة للعريضة والنداء، مع عرض موجز للوقائع والخلفيات والتداعيات.

عريضة حاخامي المدن

«ردا على سؤال الكثيرين، ها نحن نجيب بأن التوراة تحظر بيع بيت أو حقل في أرض إسرائيل للغريب. ومثلما قال رمبام [الحاخام موسى بن ميمون]: «. . . لا تقطع لهم عهدا (تثنية ٧، ٢). – لا تسمح بمكوثهم في الأرض لأنه إذا لم يكن لديهم أرض فإن مكوثهم هو مكوث مؤقت. . .» (شرائع ٧٧؛ ١٠، ٤). وحذرته التوراة مرات عديدة من أن يتسبب بمعاشرة ويخطئ تجاه العموم بزواج مختلط، حيث قيل: «لأنه يردّ ابنك من ورائي» (تثنية ٧، ٤). وهذا مس بقدسية الرب (رمبام أ. ب. ١٢، ٦) ويخطئ تجاه العموم بارتكاب محظورات أخرى مثلما حذرت التوراة: «لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إليّ» (خروج ٢٣، ٣٣). وإثم البيع والقابض منه، كل شيء معلق بعنق البائعين، معاذ الله.

وسيئة أخرى فوق سيئة، أن البائع أو المؤجر لهم شقة في منطقة يسكنها يهود يلحق أذى كبيرا بجيرانه، ويسري عليهم: «ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها» (عدد ٣٣، ٥٥). لأن طريقة حياتهم مختلفة عن اليهود، ويوجد بينهم من يضايقوننا

ويدخلون في حياتنا إلى درجة تشكيل خطر على النفوس مثلما نُشر مرات عديدة. وحتى في خارج البلاد منعوا بيعهم داخل حي اليهود انطلاقا من هذا السبب، وحري القيام بذلك في أرض إسرائيل كما هو موضح في سفرة الطعام (ي. و. د. ١٧١) وهذا حظر يسري بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والمكان.

ومعروف أنه في أعقاب بيع أو تأجير شقة واحدة يهبط سعر جميع شقق الجيران وحتى عندما يكون المشترون أو المستأجرون لطفاء في البداية. وهذا البائع أو المؤجر الأول يسبب لجيرانه خسارة كبيرة وغبنا لا يحتمل. ومن سمح له؟ ويجعل الآخرين يبيعون أملاكهم بعده إلى الغرباء، وهم أيضا يزيدون ظلما خطيرا مرتبطا بعنق الجميع.

وإذا كان هذا الغريب عنيفا وأزعج الجيران، فقد جاء في سفرة الطعام أن كل من يبيع له يجب نبذه!! حتى يطرد الأذى حتى لو كلف دماء كثيرة (ي. و. د. ٣٣٤ ٣٣). وفي أيامنا نحن لا ننبذ، كما هو معلوم، لأن خطورة النبذ كبيرة. إلا أنه واجب على جيران ومعارف هذا البائع والمؤجر تنبيهه وتحذيره، بداية على انفراد، وبعد ذلك يسمح لهم بنشر الأمر على الملأ. [يجب] الابتعاد عنه، ومنع المتاجرة معه، وعدم إشراكه في الصلوات وما شابه، حتى يتراجع عن أذى الكثيرين. والذي يسمعنا سيكون آمنا. آمين ولتكن مشيئة الله».

نداء الحاخامات النساء (زوجات الحاخامين)

«أختي العزيزة! أنت ابنة ملك، وتنتمين إلى الشعب المختار، شعب مقدس وعزيز، شعب ملك ملوك الملوك. ونحن نراك في السوبر ماركت تقفين عند صندوق القبض وتخدمين جمهور المشترين بإخلاص، ونراك في التأمين الوطني والمستشفيات. إن عملك قاس، والتضحية كبيرة، والناس لا تعرف تقدير ذلك دائما ولا تعرف كيف تقول كلمة طيبة.

وفي المكان ذاته يوجد الكثير من العمال العرب الذين يطلقون على أنفسهم اسما عبريا. يوسف يصبح يوسي، سمير يصبح سامي، وعبد يصبح عامي. ويطلبون التقرب منكِ، ويحاولون أن ينالوا إعجابكِ ويولونكِ كل الانتباه الذي في العالم. وهم بالذات يعرفون كيف يتصرفون بأدب، ويتظاهرون كأنهم يهتمون بأمرك فعلا، ويقولون كلمة طيبة، لكن سلوكهم مؤقت وحسب. وفي اللحظة التي تصبحين بأيديهم، في قريتهم، وبسيطرتهم، فإن كل شيء يصبح مختلفا.

بإمكانك سؤال عشرات البنات اللاتي كنّ هناك. وهن أيضا سيقلن لك إن كل شيء كذب، وإنه منذ اللحظة التي تصلين فيها إلى القرية، لن تعود حياتك مثلما كانت، والاهتمام الذي كنت تتوقين له لنفسك سيتحول إلى شتائم وضرب وإذلال. وحتى لو أردت الخروج من تلك القرية فإن هذا سيكون أصعب بكثير. لن يسمحوا لك وسيطاردونك. ولن يسمحوا لك بالعودة.

جداتك لم يحلمن ولم يتمنين أن واحدة ما من نسلهن ستقوم بعمل يُخرج الأجيال القادمة في العائلة من الشعب اليهودي. ومن أجلك، ومن أجل الأجيال المقبلة، ومن أجل ألا تمري بالمعاناة المروعة، فإننا نتوجه إليك بطلب ورجاء وصلاة: لا تخرجي مع الأغيار، ولا تعملي في الأماكن التي يوجد فيها أغيار، ولا تؤدي الخدمة الوطنية سوية مع الأغيار».

خلفيات، وقائع وتداعيات

ذكرت تقارير صحافية [الخميس - ٩/ ١٢/ ٢٠١٠] أن عدد الحاخامين الموقعين على الفتوى العنصرية التي تحظر على اليهود بيع أو تأجير بيوت وأراض لمواطنين عرب في إسرائيل ارتفع إلى ٣٠٠ حاخام فيما تمتنع السلطات الإسرائيلية عن اتخاذ إجراءات ضدهم. وبين الموقعين على العريضة العديد من حاخامي المستوطنات والمدن داخل الخط الأخضر، وقسم كبير منهم هم موظفو دولة ويتقاضون رواتبهم من الخزينة العامة.

وفي البداية وقع على العريضة التي تم نشرها يوم الثلاثاء ٧/ ١٢/ ٢٠١٠، خمسة وسبعون حاخاما، وتضمنت العريضة اقتباسات من التوراة وكتب تفسير التوراة تحظر بيع اليهود أملاكا لغير اليهود. وقالت وسائل الإعلام الإسرائيلية إن هذه الاقتباسات جمعها نشطاء حركة «معيانوت هييشوعاه» (ينابيع الخلاص) بعد استشارة حاخامين وخبراء قانون. وفي ٢٨ كانون الأول ٢٠١٠ أصدرت ٣٠ من الحاخامات النساء (زوجات الحاخامين) عريضة عنصرية مشابهة دعون فيها البنات اليهوديات إلى الابتعاد عن العرب وعن الأماكن التي قد يتواجد فيها عرب. وبادرت إلى إصدار هذه العريضة منظمة «لهافاه» التي تعرف نفسها بأنها تسعى إلى «إنقاذ بنات إسرائيل».

وعبر الحاخامون في العريضة عن تأييدهن لحاخام صفد شموئيل إلياهو الذي تعرض لانتقادات منظمات حقوقية إسرائيلية طالبت بمحاكمته واتخاذ إجراءات ضده بعد إصدار فتوى تدعو إلى عدم تأجير بيوت للطلاب العرب الذين يدرسون في الكلية الأكاديمية في المدينة. ويهدف الحاخامون من إصدار العريضة إلى القول للمستشار

القانوني للحكومة الإسرائيلية يهودا فاينشتاين إن الحديث يدور على موقف مبدئي نابع من الشريعة اليهودية ولذلك فإنه لا يمكن استخدام وسائل قانونية وقضائية جنائية ضد حاخام يدعو إلى عدم تأجير عقارات للعرب أو لغير اليهود.

وامتنع رئيسا الجهاز القضائي في إسرائيل، وزير العدل يعقوب نئمان، وفاينشتاين، من التعبير عن رأيهما بصورة علنية وحازمة حيال العريضة العنصرية. لكن فاينشتاين أمر بإجراء تحقيق مع بعض الحاخامين مؤخرا، بعد أن توجهت منظمات حقوقية وشخصيات أكاديمية وأدبية ومفكرين إسرائيليين إلى المستشار القانوني للحكومة وطالبوه باتخاذ إجراءات ضد الحاخامين الموقعين على العريضة. وأكدت رئيسة مجلس الصحافة والقاضية السابقة في المحكمة العليا الإسرائيلية، دوريت دورنر، أن مضمون العريضة هو تحريض عنصري وأن القانون الجنائي الإسرائيلي يعاقب على مثل هذه الأمور.

وطالبت المنظمات والشخصيات التي توجهت إلى فاينشتاين بإقالة الحاخامين الموقعين على العريضة والذين يحصلون على رواتبهم من خزينة الدولة فورا لأنهم «يدوسون على وعود تضمنها إعلان الاستقلال الذي قامت إسرائيل على أساسه، وحولوا اليهودية إلى عنصرية ويخالفون علنا القانون الجنائي الذي يحظر التحريض على العنصرية».

وقال ناجون يهود من المحرقة إبان الحكم النازي لألمانيا إن عريضة الحاخامين الإسرائيليين العنصرية تذكرهم بالحياة تحت الحكم النازي وأن النازيين كانوا «يلقون باليهود من الشقق». وقال رئيس منظمات الناجين من المحرقة في إسرائيل نوح بلوغ إن «حظر الشريعة اليهودية مثير للغضب ويجب العمل بسرعة ضد الحاخامين كي يتراجعوا» عما جاء عريضتهم. وأضاف بلوغ أنه «كيهودي عانى من المحرقة فإنني أذكر كيف كان الألمان يلقون اليهود من الشقق ومراكز المدن وأقاموا الغيتوات، وكيف كتبوا على المقاعد في الأماكن العامة أنه ممنوع جلوس اليهود عليها وبالطبع أنه ممنوع بيع وتأجير شقق لليهود». وأردف «اعتقدنا أن هذا لن يحدث في دولتنا وهذا صعب خصوصا على من كان في المحرقة».

وأصدر متحف «ياد فَشيم» لتخليد ذكرى المحرقة في القدس بيانا وصف فيه عريضة الحاخامين بأنها «مس خطير بالقيم الأساسية لحياتنا كيهود وكبشر في دولة ديمقراطية». وقال الناجي من المحرقة أليكس أورلي إنه «ليس معقولا أن يكون هناك تمييز في دولة إسرائيل بعد أن عانى مؤسسوها من تمييز فظيع خلال المحرقة في أوروبا». وشدد أورلي على أنه «عانينا من حكومات وسلطات متعددة وهل أصبحنا الآن مثلهم؟ على الحكومة أن تعلن موقفها ضد الحاخامين وتنديد رئيس الحكومة (بنيامين نتنياهو) ليس كافيا، فالعرب هم مواطنون في الدولة ويجب منحهم المساواة وإلا فنحن لسنا دولة ديمقراطية وليبرالية».

واستنكر الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريس الفتوى العنصرية ووصف هذه الدعوة بأنها خلقت «أزمة إنسانية». وقال إن «بيان الحاخامين يخلق أزمة أخلاقية وجذرية في إسرائيل تتعلق بجوهر ومضمون إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية». وادعى بيريس أنه «لا يوجد تناقض بين الديمقراطية واليهودية»، وقال إن «كل إنسان خلق على صورة الله وهذا أحد أسس اليهودية والأساس للديمقراطية».

وكان رئيس الكنيست رؤوبين ريفلين قد أخرج العضو العربي في الكنيست طلب الصانع من جلسة الهيئة العامة للكنيست بعد أن وصف الحاخامين الذي وقعوا على الفتوى بأنهم «حثالة الجنس البشري» وأنهم عنصريون.

واستنكر رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو الفتوى العنصرية وقال «كيف كنا سنشعر لو أن أحدا قال في خارج البلاد إنه ممنوع بيع بيت لليهود؟ يحظر قول مثل هذه الأمور، ليس من جانب اليهود ولا من جانب العرب. ويحظر أن تقال مثل هذه الأقوال في أية دولة ديمقراطية وخصوصا في دولة يهودية وديمقراطية».

وقال حاخام مدينة أسدود يوسف شاينين شارحا سبب توقيعه على الفتوى إن «العنصرية مصدرها في التوراة، وأرض إسرائيل هي لشعب إسرائيل، هكذا أعدها الرب وهكذا فسرها 'راشي'» أي الحاخام شلومو بن إسحاق الذي عاش في القرن الحادي عشر.

وفي أعقاب الضجة التي أثارتها عريضة «حاخامي المدن» دعا حاخام إلى التمييز بين «العرب المخلصين» و«العرب الكارهين لإسرائيل» لدى بيع أو تأجير البيوت معتبرا ذلك حلا وسطيا بين دعوات حاخامي اليمين التي حظرت بيع وتأجير البيوت للمواطنين العرب وبين حاخامين حريديم، متزمتين دينيا، انتقدوا ذلك. وسعى الحاخام حاييم دروكمان الذي يوصف بأنه من زعماء «التيار المعتدل في الصهيونية الدينية» إلى نشر عريضة جديدة ليوقع عليها عدد كبير من الحاخامين وتدعو إلى التفريق بين «العرب المخلصين» و«العرب الكارهين لإسرائيل».

ووفقا لدروكمان، وهو أحد قادة المستوطنين وكان عضو كنيست

عن حزب «المفدال» اليميني، فإنه ينبغي التعامل بمساواة مع «العربي المخلص» وإقصاء «العربي الكاره لإسرائيل».

وكان الحاخام يوسف شالوم إلياشيف زعيم التيار الحريدي الأشكنازي، والمعروف في إسرائيل بـ «التيار الليتواني» نسبة إلى ليتوانيا، قد انتقد بشدة عريضة حاخامي المدن وقال إنه «يجب أخذ القلم من أيديهم» في إشارة إلى منعهم من إصدار فتاوى دينية.

والجدير بالذكر أن انتقادات الحاخام إلياشيف أدت إلى تراجع حاخامين وقعوا على عريضة حاخامي المدن، وأن تأثيره على الحريديم في سياق الامتناع عن التحريض العنصري ضد العرب كان أكبر من تنديد نتنياهو وبيريس بالعريضة.

ورفض الزعيم الروحي لحزب شاس والحريديم الشرقيين الحاخام عوفاديا يوسيف التوقيع على عريضة حاخامي المدن وندد بها. لكن تنديد يوسيف جاء في أعقاب أقوال الحاخام إلياشيف خصوصا وأن يوسيف عبر قبل ذلك وبشكل علني عن تأييده منع بيع أو تأجير بيوت للعرب.

ونظم اليمين المتطرف مظاهرات في تل أبيب والقدس مؤيدة للعريضة العنصرية وشارك فيها الآلاف. فيما نظم اليسار الإسرائيلي مظاهرة في تل أبيب ضد العريضة وشارك فيها الآلاف أيضا، ودعوا إلى العيش المشترك بين اليهود والعرب.